والهند واليهود والعرب والعجم ليجد فيها مفاتيح لما أُقفل في وجهه من أسرار الوجود وعبثاً جرّب أن يفتحه ببراهينه وتعاليمه .

هوذا عالم غربي كبير يدعى فلاماريون يترك النجوم التي قضى خيرة حياته في درس أسرارها ويكرس ثلاثين عاماً من عمره « ليبرهن » للغرب في ثلاثة مجلدات ضخمة عن أن الإنسان مركّب من روح وجسد . وأن الجسد يتحوّل بالموت أما الروح فتبقى . وقس عليه السر وليم كروكس وأولفر لودج وكونان دويل وسواهم . فإذا كان الغرب قد أدرك اليوم، أو أخذ يدرك ، هذه الحقيقة « بالبرهان » فالشرق قد عرفها منذ نعومة أظفاره بإيمانه . وقد شاد عليها ، وعلى سواها من الحقائق المنزلة ، بنيان حياته .

قلت « الحقائق المنزلة » إذ ليس في نظري من حقائق سواها. فالإنسان من تلقاء نفسه قاصر عن إدراك سرّ الوجود . وهذه الحقائق هي ميراث الشرق منذ ولادته . أمّا ما ندعوه في هذه الأيام « حقائق علميّة » ونكيّف معيشتنا بموجبه فليس إلا ضرباً من التخمين نتلهى به من يوم إلى يوم . فمن ميزات الحقيقة أنها حقيقة في كل زمان ومكان . أمّا « الحقيقة » التي نتزوجها اليوم ونطلقها في الغد فما تلك بحقيقة على الإطلاق . وأكثر ما يقال فيها إنها « تقدير معقول » لوقتٍ محدود . وإنها صالحة